الغموض في الشعر الحديث
رؤية فنية

د٠ عبد الحسين حداد كنيهل د٠ علي عبد الحسين حداد
جامعة ميسان ـ كلية التربية

الغموض لغةً

الغموض في اللغة هو الإخفاءوأنْ تأتي بالكلام إيماءً وتلميحاً بخلافِ الواضحِ منهُ ،يقولُ أبو بكر الرازي (ت٦٦١هـ) [الغامضُمن الكلامِ ضدُّ الواضحِ][١]

ويقول أبنَ منظور(٧١١هـ) [وقد غَمَضَ المكانُ وغَمُضَ ،وغَمَضَ الشيءُ يَغْمُضَ غموضاً فيها : خَفِيَ][٢]

ويقول الفيروز آبادي إنَّ الغموضَ في الكلام هو [خلاف الواضح][٣].

الغموض في الإصطلاح

من الظواهر الأسلوبية التي تفنن بها الشعراء وتبنوها في نسيجهم الشعري ظاهرة الغموض ، حيث برز أثرهافي البناء الأسلوبي لدى البعض منهم إلى درجة أنْ اصبحتْ هذه الظاهرة مؤشراً أسلوبيا جديداً يضاف الى رصيد الأسلوب الشعري الذي زخربه الأدب العربي ، وظاهرة نقدية تلفتُ انتباه الدارسين الى تقصي الوازع الأساس الذي كمن في هذه الظاهرة فاستمالهم إليها .

إذنْ ماالغموض ، وماهي ملامحه التي تميز مصطلحه في البنية الشعرية؟ الغموض في الاصطلاح تصيير البناء الأسلوبي للقصيدة بصياغة معنوية تبتعد عن المباشرة والوضوح الى حالة توقظ او تغازل ذهن المتلقي في كشف المؤدى المعنويالأساس في النص . والغموض صفة ذاتية في النص[٤]وليس عنصراً يضاف قسراً الى النص فيحيل جماليته الفنية الى صفة التعقيد التي سنفرغ الى إيضاحها فيما بعد ، وهو صفة إيجابية وخاصية في طبيعة التفكير الشعري وليس خاصية في طبيعة التعبير الشعري ،لذا هو أشد ارتباطاً بجوهر الشعر، يقول الدكتور عز الدين اسماعيل[أما الغموض في الشعر فلا يمكن النظر إلي– كما يقول هربرت ريد – على انه مجرد صفة سلبية ..... وانما هوصفة إيجابية ، بل اكثر من هذا هو مجموعة كاملة من الصفات الإيجابية ... ومعنى هذا أنَّ الغموض في الشعرخاصية في طبيعته التفكير الشعري وليس خاصية في طبيعة التعبير الشعري .وهي لذلك أشد ارتباطاً بجوهرالشعرو بأصوله التي نبت منها][٥]والغموض في رأي الدكتور بدوي طبانة يحتفظ بكلية المعنى دون تجزئته بصورة ضئيلة على حدَّ وصفه،[٦]أيْ أنَّ الغموض ليس صفة طارئة في النص وإنما اقتضى المعنى المتوخى ايصاله هذه السمة، ودليل كلامنا نلمسه في مقولة الدكتور عزالدين اسماعيل :(وهنا ينبغي أنْ نبدأ بشيء من التحديد اللازم لمعنى الغموض في الشعر،فربما ارتبط الغموض بطبيعةالشعرذاتهاحتى ليمكن القول في بعض الاحيان إنَّ الشعر هو الغموض)[٧]،كذلك مقولة فاضل ثامر[٨]: (يتحول الغموض الى كوى صغيرة تنفذ خلالها افكار وأحاسيس وتجارب الشاعر فيلجأ الى التلميح والإغراق في الإيحاء ومن الجدير ذكره أنَّ الدارسين اختلفوا فيما بينهم في تحديد تسمية هذه الظاهرة ،فمنهن اصطلح علـــى تسميتها بـ(الغموض)كالدكتورالسعيدالورقي[٩]،ومحمد حسين الاعرجي[١٠]والدكتورمحمدمندور[١١] وفاضل

١مختار الصحاح، للرازي – غمض - .

٢لسان العرب ، لابن منظور – غمض - .

٣القاموس المحيط ، للفيروز آبادي – غمض - .

٤الاسس الجمالية في النقد العربي ، د .عزالدين اسماعيل ،ص٣٧٤ .

٥الشعرالعربي المعاصر . د .عزالدين اسماعيل ،ص ١٩٠ .

٦قضايا النقد الادبي ، د . بدوي طبانة ، ص١٢٧,١٢٦ .

٧الشعرالعربي المعاصر. د.عزالدين اسماعيل .ص١٨٨ .

٨معالم جديدة في أدبنا المعاصر. فاضل ثامر

٩لغة الشعرالعربي الحديث.د.السعيدالورقي.ص١٣٨,١٣٩ .

١٠الصراع بين القديم والجديد في الشعرالعربي.محمد حسين الاعرجي.ص١٩٠,١٩١,١٩٢ .

١١قضايا جديدة في ادبنا الحديث.د.محمدمندور.ص.١٠٣ .

ثامر[١] ومنهم من يسميه (غموضاً) تارةً و(تعقيداً) تارةً اخرى عزالدين اسماعيل في كتابه (الاسس الجمالية في النقد العربي)[٢]،وتراه يلتزم (الغموض) بصفته الفنية ويفرق بينه وبين (الابهام)ووصفه مصطلحاً نقيضاً في كتابه (الشعرالعربي المعاصر)[٣] ونلمس القضية ذاتها لدى الدكتور بدوي طبانة ، إذ يصطلح تارةً على تسمية هذه الظاهرة بـ(الغموض) بمفهومها الفني في كتابه (التيارات المعاصرة في النقد الادبي)[٤] ،وتارةً يصطلح على تسميتها بـ(الابهام)مميزاً بينها وبين مصطلح نقيض هو (التعقيد) .

الغموض بين الفن والتعقيد

ينطوي الحديث عن الأصول الجمالية التي تميز ظاهرة الغموض بمزاياها الفنية في النص الشعري ،على أهمية بالغة حيث تضع نصب أعيننا قضيتين أساسيتين، الاولى تقتضي الإفصاح عن الجمالية التي تميز هذه الظاهرة ، والثانية تقتضي بيان المصطلح النقيض واضمحلال المستوى الدلالي للنص في عكس التجربة الشعرية وإيصال المعنى بصورة غير ضبابية او مشتتة .

لقد تضافرت جملة من الخصائص والمكونات الاسلوبية في تحقيق المستوى الفني لهذه الظاهرة ،لاسيما أنَّ جزءً من هذه المكونات ينتمي بهويته الى البناء الشكلي ،والآخر يمس بنية المضمون الشعري الذي نسج على منواله النص .وأساس العناصر المميزة للغموض ((الخيال)) ،هذا العنصر الذي يتيح للشاعر المناخ التعبيري الملائم لإخصاب المعاني الجياشة بشكل يبعده عن سلطة الواقع التي قد تحجم او تقلص لديه المدى الشعوري في صياغة النص ، فيجد في الوجود الخارجي او في فضاء اللاوعي الفسحة او المتنفس الذي يصرح فيه عن موقفه حيال التجربة الشعرية ، يقول الدكتور بدوي طبانة في حديثه عن أثر الخيال في غموض الشعر (ذلك هو الخيال الذي يتوخاه الشعراء ويعتمدون عليه في تأليف أشعارهم وتصوير معانيهم وهو التخييل الذي يعملون على إثارته في نفوس المتلقين لإشعارهم، فإنَّ التخييل كما يقول حازم (منهاج البلغاء) هو أنْ تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل او من معانيه او اسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة او صورة ينفعللتخيلها وتصورها، او تصور شيء آخر بها انفعالاً من غير رويّة الى جهةٍ من الانبساط او الانقباض)[٥]، ونراه في موضع آخر يضع المقاييس المميزة للغموض الفني في النص على أساس مبدأ التخييل إذ يقول(تتحقق الزيادة في المعاني بالتخييل الذي يحققه التغيير ، وهذا يتحقق في العبارة بشرطين :-

١. السمو في التعبير بألاَّ تكون الألفاظ حقيرةً أيْ مبتذلة ، لأنها لا تخيلفي المعاني أمراً زائداً او تخيل تخيلاً يسيراً ،او تخيلاً رديئاً ،او يكون التركيب تركيباً فاسداً .

٢. المبالغة المطلوبة في الادب والفنون ، فقد تكون الألفاظ المستولية لاتجاوز القدر الذي يحقق المعنى المطلوب في الإقناع ولا تستطيع أنْ تخيل فيه معنى أعظم مما يحتمل المعنى المقصود وتبينه)[٦]، فقد التفتَ الدارسُ الى الوازع الذي يحدو الشاعر الى استضافة هذا اللون الأسلوبيواعتماده مسنداً ثانوياً في تصوير تجربته الشعرية ، ثم استشهد الدارسُ بآراء حازم القرطاجي صاحب كتاب(منهاج البلغاء)مبيناً التفات الفكر النقدي عند العرب لظاهرة الغموض المستندة إلى مبدأ التخييل . وفي مقولته الثانية حدد لنا طبانة بشكل دقيق الأُطر الرئيسية التي لاتنأى بهذا المبدأ(الخيال)وترسيه في نطاق الابهام والتعقيد وحصرها بألاَّ تكون الصورة او التعبير المتخيل مبتذلاً يفسد بناء الصورة ويحيلها الى التداعي والنفور ،ثم ألاَّ تكونَ هناك مبالغة في صياغة المعنى او إغراقاً بالتفنن البلاغي الذي يفقد المعنىأو النص بشكل عام القدرة على الإيحاء .

ويرى الدكتور عزالدين اسماعيل(أنَّ الغموض صفة خيالية تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقية)[٧]،إذ يلمَّح الى أنَّ طبيعة الغموض في النص تنبع من طبيعة التجربة التي يعايشها الشاعر فيلجأ الى قلقلةِ توازنها المنطقي في الواقع الحياتي ليدخلها ضمن الواقع الشعري الحالم ثم يقول مؤكداً كلامنا(ومن ثم فإننا نصف الشاعر بأنه

١معالم جديدة في ادبنا المعاصر.فاضل ثامر. ص٣٩٤ .

٢الاسس الجمالية في النقد العربي.د. عز الدين اسماعيل.ص.٣٧٤ .

٣الشعرالعربيالمعاصر.د.عز الدين اسماعيل .ص.١٨٩ .

٤التيارات المعاصرة في النقد الادبي .د.بدوي طبانة .ص.٤٣٨ – ٤٤٥ .

٥قضايا النقد الادبي .د.بدوي طبانة ،ص ١٢٧ .

٦قضايا النقد الادبي ، ص١٣٤,١٣٥ .

٧الشعرالعربيالمعاصر.د.عزالدين اسماعيل ،ص ١٨٩ .

غامض ،والحقيقة إننا لانحكم عليه هذا الحكم إلاّ لأننا منطقيون ولأننا أعتدنا أنْ نتعامل باللغة في وضوح ، أما الشاعر فيدرك الاشياء إدراكاً أبعد مدى مما نصنع .... وهو من هنا يذهب الى الاختراع، اختراع الألفاظ واختراع صور التعبير ،والاختراع قلنا خيال، ومنطق الخيال غير منطق الواقع)[١].

وتعد (الصورة الشعرية) من المكونات الأساسية التي تميز الغموض في النسيج الشعري لما تحتويه من العناصرللبلاغية كالاستعارة والتشبيه والمجاز التي تتظافر في خلق هيكلها الذي يجسد صوراً شعريةً تبتعد عن مجال الواقع الى تعبير مجازي او استعاري او تشبيهي يستأنس الخيال الخلاق في تصوير التجربة الشعرية بواقع خارجي(شعري) يستلهم قوى التعبير الكامنة في ذات الشاعر فينزلها الى السطح الشعري ، ويجذب إرهاصات المتلقي ويفعّلها في تلقف المعاني الموحية التي فاض بها النص، يقول الدكتور السعيد الورقي(اتجه الشاعر الجديد في صوره الشعرية الى محاولة إعادة تنسيق الوجود الخارجي على نحو يتطابق فيه مع مشاعره ووجدانه)[٢] ويقول محمد حسين الاعرجي(واستقرَّ جماعة ابولو على أنَّ وظيفة اللغة هي الإيحاء فكانت صورهم حالمة غامضة يجمع بين أجزائها البعدالنفسي، واهتمامهم بهذا البعد لابماجرى عليه المألوف من الاستعارة والتشبيه ،هو الذي أثار أنصار القديم)[٣]،وقد التفتَ الدكتور عزالدين اسماعيل إلى الأثر البليغ للاستعارة والمجاز في تشكيل الصورة الشعرية الغامضة ، إذ يقول (نجد أنَّ الاستعارة التي هي من أهم صور التعبير الشعري وأبرزها قد ارتبطت في نشأتها بالخرافة او بالأسطورة، وفي الخرافة تتمثل كلُّ الخصائص التي ترتكز فيما بعد في المجاز.... فالمجاز في جوهره يمثل هذه العملية غيرالمنطقية او غير المعقولة التي هي أثر من آثار الخرافة)[٤]إذنْ(الخرافة او الاسطورة) هي إحدى المكونات التي ميزتْ الظاهرة الفنية للغموض حين يعمد الشاعر الى زخرفة هذا البناء بالتفنن البلاغي ليتخذ منه نافذةً يطلُّ بها على التجربة الشعرية فيعتمدها محركاً موضوعياً أوقناعاً يُفرِّغ من خلاله المحتوى الشعري، فيكون النص ذا دلالاتٍ متشعبةٍ تترك جملةً من التساؤلات عن العمق المعنوي الذي خلّفتْه استضافةالأسطورة او الخرافة، يقول الدكتور السعيد الورقي في حديثه عن الغموض وأثر البناء الميثولوجي في تشكيله(ليست الثورة الداخلية الذاتية هي الوسيلة الوحيدة التي اعتمدها الشاعر العربي الحديث للصورة الشعرية الجديدة، فقد لجأ عدد كبير منهم الى استخدام الاسطورة كوسيلة أخرى للصورة الشعرية فكأنَّنا بهذا أمام اسلوبين للصورة الشعرية الحديثة)[٥]، ويقول الدكتور علي جعفر العلاق معلقاً على استخدام البياتي للبناء الاسطوري في شعره(وبهذه النبرة التي يمتزج فيها التاريخ والاسطورة،الشعرو النبوءة يفتح هذا الرمز ذاكرة القارئ على مخزون روحي ووجداني شديد الكثافة والترابط)[٦] ، ويقول صلاح عبد الصبور(إنَّ الاسطورة هي نقلٌ للتجربة من مستواها الشخصي الذاتي الى مستوى إنساني جوهري)[٧]، يشاركه في هذا الرأي البياتي في قوله(إنَّ الرمز والاسطورة والقناع،أهمأقانيم القصيدة الحديثة، وبدونهم تجوع وتعرى وتتحول الى مشروع او هيكل لجثة ميتة)[٨] و(الرمز)ايضاً من العناصر الأساسية المميزة لظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث ،إذ يقتني الشاعر الرمز كشفرةٍ يلهم المتلقي من خلالها بواعث الإيحاء فيربطه بمؤثرات السياق المعنوي للنص دون أنْ يعمد الى التصريح المباشر او التقريري بالكلام عن ذاته وذوات الآخرين الذين رجرجت تجربتهم مكامن الإلهام والإبداع لديه. فتحمل الرموز المستضافة في نسيج النص دلالات نفسية وأخرى اجتماعية وتاريخية وسياسية متشعبة تحفظ للقصيدة ديمومتها وتواصلها الحضاري ، واستيعاب التجربة الذاتية للشاعر خلاصة التجارب التي مرَّ بها المجتمع بشكل عام والذوق الشعري لأقرانه من الشعراء بصفة خاصة . يقول ميخائيل نعيمه(إنَّ اللغة في أدق تراكيبها ليست سوى مستودع رموز نرمز بها الى أفكارنا وعواطفنا)[٩] ويقول د.علي العلاق (لاشك أنَّ الشاعر قد وجد في شخصياته هذه رموزاً شخصيةً ملائمةً تجسد رؤياه تجسيداً حاراً وتمنحها شكلاً درامياً نامياً ، لقد عاشتْ

١الشعرالعربي المعاصر.ص١٩٢ .

٢لغة الشعر العربي الحديث .د.السعيد الورقي .ص١٣٥ .

٣الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي .د.محمد حسين الاعرجي .ص ١٩٦ .

٤الشعر العربي المعاصر. د. عز الدين اسماعيل .ص١٩٢,١٩١ .

٥لغة الشعر الحديث .د. السعيد الورقي.ص.١٤٠ .

٦في حداثة النص الشعري، د.علي جعفر العلاق .ص٧٨ .

٧حياتي في الشعر.صلاح عبدالصبور.ص١٠٠ .

٨مجلة الجامعة . العدد الرابع لسنة ١٩٧٧-ص٢١ .

٩الغربال . ميخائيل نعيمة .ص١٠٦ .

هذه الرموز حياة حافلة بهذا الصدام ، ومواجهة التخلف او التزييف او البطش تمثل حتى في موتها استماتة الانسان وارادته الضاربة)[١]

ومن الطريف أنْ يلمسَ الدكتور إحسان عباس في الايقاع الشعري لتفعيلة (متفاعلن) إحدى التشكيلات الايقاعية للبحر الكامل في البناء العمودي للشعر العربي إثارة الغموض ،إذ يتنسم الدارس في النغم الايقاعيالمنبعث عن ترددها في النص الشعري اجواءً دلاليةً توحي بالغموض او تسهم في تعضيد بقية المميزات الفنية لظاهرة الغموض، يقول إحسان عباس(فالإكثار في بحر الكامل يدل على مقدار ماتفرضه الطبيعة الحتمية لبحور الشعرالعربي،كما يشير الى بقية من تمسك بهذا اللون الغامض من الرنين ....)[٢] ويقول في تعليقه على إحدى قصائد البياتي التي يقول فيها :

وضريحُ مير ابو ورو بسبيرَ والفكرُ المهانْ
والثلجُ والعتماتُوالمتســــــــــــــوولونْ
وسعالُ طفلتِنا المريضةِ والبواخرُ والزمـانْ
وصليبُ ثورتنا القديـــــــــــــــــــم

: (هذا الطنين الرتيب نفسه يرخي ستاراً كثيفاً على القصيدة ،ويزيد من درجة الغموض فيها ،والغموض هو مصدر الشكوى عند الكثير ممن يقرأون شعر البياتي)[٣].

إنَّ المميزات التي تمَّ استعراضها بشكل وجيز قد شكلت الظاهرة الفنية للغموض في الشعر الحديث. لكنَّ هذهالمميزات إذا أُغرقَ النص باستجلابها بشكل مكثف ومبالغ فيه سيؤول بها الى مصطلح نقيض هو التعقيد والإبهام، هذا الشكل السلبي للظاهرة،حيث ينقض ويهشم الصورة الدلالية المتوخاة من ميول الشاعر الى الغامض ، بل يعمي قابلية الاستجابة والتلقي لدى المتلقي في هضم التجربة الشعرية في النص او التفاعل معها ، لاسيَّما وهم يتلقون صوراً مشوهةً من التعبير او متاهات معنوية خلقتها الالفاظ المبهمة والاستعارات الموحشة ،يقول الدكتور بدوي طبانة(أما التعقيد فإنما كان مفوماً لأجل أنَّ اللفظ لم يرتَّبْ الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج السامع أنْ يطلب المعنى بالحيلة وأحق أصناف التعقيد بالذم ما يتعبك ثم لايجدي عليك ويؤرقك ثم لا يروق لك)[٤]،ويرى الدكتور عز الدين اسماعيل أنَّ التعقيد او الابهام صفة نحوية ترتبط بالنحو وتركيب الجملة ،يقول معلقاً على اراء امبسون (فالإبهام عنده صفة نحوية ،بصفة أساسية ، اي ترتبط بالنحو وتركيب الجملة ، في حين أنَّ الغموض(صفة خيالية) تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقية اي قبل مرحلة الصياغة اللغوية النحوية)[٥]ثم يؤكد ذلك معلقاً على قول الفرزدق :

وما مثله في الناسِ إلا مملكاً أبو أُمه حيٌّ ابوه يقاربـــــــه

: (ومن هنا يتضح لنا أنَّ البيت السابق ليس غامضاً ،ولكنَّهُ مبهمٌ لانَّ المشكلة الأساسية فيه لاترتبط بالخيال او بشيء منه ، وانما هي قبل كل شيء مشكلة لغوية قائمة في طبيعة التركيب اللغوي نفسه)[٦] ويذكر الدكتور بدوي طبانة أنَّ بشر بن المعتمر اول الذين التفتوا الى الاثر السلبي للتعقيد في البناء الشعري ، إذ يذكر مقولته المنسوبة الى صحيفته الشهيرة (وأياك والتوعر،فإنَّ التوعر يسلمك الى التعقيد،والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك)[٧]ومقولة بشر سنُفسِّر فيما بعد الجوانب المؤثرة للتعقيد في بيان المعنى او انتقاء الألفاظ في تأسيس السياق المعنوي للشعر .

وأول الجوانب التي تشير التعقيد في البنية الشعرية هو استغلاق المعاني[٨]او بعبارة أخرى الإيغال في المعنى وتمطيط دلالاته حتى لايستطاع إدراكها ثم لا تؤدي غايتها من الاثارة والامتاع.

ومن الجوانب التي تحيل المعنى الشعري الى التعقيد اختيار الشاعر لنمط من الالفاظ تكاد تكون مهجورة الاستعمال بفعل التطور الدلالي للفظة ، او اختياره للوحشي والعامي المبتذل منها ، وهذه القضية التفتَ اليها

١المصدر السابق .ص١٣١ .

٢من الذي سرق النار .د. إحسان عباس .ص٩٤ .

٣من الذي سرق النار، ص٩٦ .

٤التيارات المعاصرة في النقد الادبي .د. بدوي طبانة.ص٤٤١ .

٥الشعرالعربيالمعاصر.د. عز الدين اسماعيل .ص١٨٩ .

٦الشعرالعربي المعاصر .ص١٨٩ .

٧قضايا النقد الادبي .د. بدوي طبانة.ص١٣١ .

٨المصدر السابق .ص١٣١ .

الفكر النقدي القديم عند العرب[١]، يقول الدكتور بدوي طبانة(يبدو من هذا ان التعقيد ينشأ من استعمال الالفاظ التي تخفى معانيها ، وهي الألفاظ التي وصفها النقاد العرب بالغرابة والحوشية ، وقد وردت هاتان الكلمتان مقترنتين في معرض ما يقبح استعماله من الالفاظ في التعبير الادبي)[٢]،ويقول فاضل ثامر(يجب أنْ لاننسى أنَّ اللغة قد تكون سبباً في فوضى او اضطراب وتعقد البناء الشعري الجديد ، لدى بعض الشعراء – كما راينا في تجارب شعراء مجلة (شعر) ... ومحاولات الياس عوض الاخيرة ماهي إلا منح للغة وافتعال تعقيدها وإرباكها)[٣]،وقد يرتبط الشعراء بتيارات فكرية وفلسفية معينة فتجيء ألفاظهم محملةً بفكرها او موجهةً الى الواقع السياسي او الاجتماعي يقول محمد حسين الاعرجي(يلاحظ على لغة الشعر الحديث – رغم انكاره أنْ تكون للشعر لغة خاصة به – أنَّ هناك مفردات بعينها تشيع فيه ، ولايكاد الشعراء يتجاوزونها مثل الرحم والافخاذ، والبول، والمضاجعة، والزنا،.... ، وعلى انا نعرف أنَّ من اسرار شيوع هذه الالفاظ ارتباطها بمذاهب فكرية ، فألفاظ الجنس والبول وماإليها مما يرتبط بالوجودية والسلطان، والتتار ... ممايرتبط بالمذاهب الفكرية التقدمية)[٤]وقد يكون من دواعي نشوء التعقيد في البناء الشعري التكثيف في الصور الغريبة والاستعارات الموحشة او التشبيهات المعقدةمما يسبغ ضبابيةً على المدلول الشعري او تشتتاً في مستوى الإدراك عند المتلقي في ضبط مفاصل الصورة الشعرية، لاسيما انَّ هذه الصور بما فيها من استعارات وتشبيهات لها تشعبات نفسية وتصورات باطنية ذات علاقات متشابكة في ذات الشاعر، وقد تنبه الفكر النقدي القديم عند العرب لهذه المسألة حيث تجسدت في ملاحظات الآمدي في شعر ابي تمام في باب(بعيدة الاستعارة)[٥]كذلك ملاحظات آبن رشيق القيرواني بما يخصُّ(التشبيهات العقم)[٦]وفي غيرها من التفاتات المتقدمين للنقاد العرب،يقول الدكتور السعيدالورقي(وهكذا كان اخطر مانراه من خصائص في هذه الصورة الداخلية هو اختفاء الظواهر الطبيعية المحايدة، وتحولها الى رموز لحالات نفسية باطنية خالية من كل تحديد مكاني)[٧]،ويقول الدكتور بدوي طبانة في حديثه عن بروز ظاهرة التعقيد في الشعرالحديث(لذلك كثرت في كلامهم المعاني المبهمة والفكر المستغلقة والتشبيهات المعقدة فصرنا نقرأ عن مخدات الربيع او عن ابتسامة الجدار.... وكل هذه كلام مرصوص تقرأه في سياقه ،ثم تقرأه منفصلاً عن سياقه ،فلا تفهم منه شيئاً اللهم، إلا أنْ يكون فهمك رجماً بالغيب اوخوضاً في محيط المجهول او ضرباً على غير هدى في متاهةٍ لاقرار لها)[٨]،ويقول محمد حسين الاعرجي(لاحظ ايضاً انها استحالت لدى آخرين هدفاً قائماً بذاته مما يجعلها مضحكةً بدل أنْ تكون مدهشة موحية كما في قول عفيفي مطر :-

شربتُ مرقَ الاحذيةِ المنقوعة
في الخوفِ والنحيبُ
أكلتُ ما يخبزُهُ الاسفلتُ
في جوفه من حنطة التعذيبْ

فـ(مرق الاحذية) و(خبز الاسفلت)و (حنطة التعذيب)لاتبعد كثيراً عن قول ابي عذافر الذي مرّ بنا :

باضَ الهوى في فؤادي وفرَّخ التذكارُ

في مثل هذه الصور وسواها يكون من الطبيعي أنْ يتهم الشعر الحديث في هذه الناحية بالغموض ويزيد من شيوع البهمة ان بعض قصائده خاصة لدى شعراء النثر – تتخذ من هذا الغموض غاية)[٩].

كذلك تكثيف الرموز في النص الشعري قيحدث تعقيداً وتخلخلاً في التوازن المعنوي للتجربة الشعرية ، اي بعبارة أخرى تتداخل العلاقات الشعورية للرموز المستحدثة في النص فيما بينها حتى يصعب ضبط المستوى الدلالي لكل رمز من تلك الرموز وتحديد موقفه من التنامي الداخلي للتجربة الشعرية في النص ، ودليل كلامنا نلمسه في مقولة الدكتور بدوي طبانة (كذلك كان النقد المعاصر على هذا الرأي من التنكر لهذه

١انظر البيان والتبين. للجاحظ ١٤٤/١ . الموازنة ، للآمدي– من ص ١٢٤ – وما بعدها . سر الفصاحة . لابن سنان الخفاجي . ص٧٣ وما بعدها ، وص٧٧ الى ٨٥ .

٢قضايا النقد الادبي .د. بدوي طبانة .ص١٣١ .

٣معالم جديدة في ادبنا المعاصر. فاضل ثامر. ص٤٠ .

٤الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي. د. محمد حسين الاعرجي .ص٢٠٥ .

٥الموازنة . للامدي . ص٢٢٧ .

٦العمدة . لابن رشيق القيرواني .٢٩٦/١ .

٧لغة الشعرالحديث .د.السعيد الورقي .ص١٣٥ .

٨التيارات المعاصرة في الادب العربي.د.بدويطبانة .ص٤٤٢ .

٩الصراع بين القديم والجديد . محمد حسين الاعرجي .ص ٢٠٤,٢٠٥ .

الرمزية التي تؤدي بالمعاني الى الابهام ، وبالفكرة الى الاستغلاق)[١]،ويقول ميخائيل نعيمة(إنَّ بعض هذه الرموز يصبح على مرور الايام طلاسم فالأجدر نبذه)[٢].

ومن الجدير بالذكر أنَّ الدكتور بدوي طبانة قد أحصي بشكل موجز بعض المظاهر التي تشير التعقيد في البناء الشعري لاسيما أنَّ أغلبها يتعلق بالتركيب اللغوي او النحوي للجملة[٣]،حيث يمكن ايجازها على النحو الاتي :

أولاً : مايخصُّ بنية اللفظة او العبارة

١. الالفاظ الحوشية فانَّ أثارتها للتعقيد واستبشاعها ناشئ من ثقل في الحروف التي بنيت منها اللفظة.
٢. الالفاظ المشتركة الغريبة لأنها قد تؤدي اكثر من معنى مالم يدل السياق على المقصود منها .
٣. العبارات والجمل المركبة التي لم يراع في تأليفها اصول التأليف من وضع كل لفظ من ألفاظها في الموضع الذي يقتضيه معناه.
٤. التقديم والتأخير في الكلام او اختلاف وضع الاسناد فيصير الكلام مقلوباً ، إذا العبارة انما تدل على المعنى بوضع مخصوص وترتيب مخصوص ،فإذا بدل ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة.
٥. الايجاز الذي لايبين معه المقصود من الكلام .

ثانياً : أما مظاهر التعقيد التي تختص بالسياق المعنوي داخل النص:-

١. دقة المعنى في نفسه ،وبعد غوره حتى يحتاج الى تأمل وفهم وذلك يقتضي تسهيل العبارة وبسطها ، حتى يقابل خفاء المعاني بوضوح العبارة ويقابل غموضها ببيانها ٠
٢. الاخلال ببعض اجزاء المعنى الذي لم تستوف أقسامه بأنْ يذهل القائل عن بعض أركان المعنى او يجهله .
٣. أن يكون المعنى مبنياً على مقدمات غير معروفة او على معنى غير معلوم فيتعذر فهم المعنى المراد إلا إذا عرفتَ المقدمات او عرفتَ المعنى الاصلي الذي قام عليه المعنى المقصود.

الغموض والمدارس الادبية

استقطبت ظاهرة الغموض بسمتها الفنية ملكات الابداع لدى الكثير من الشعراء المعاصرين ، لاسيما انَّ هؤلاء الشعراء ينحدرون بهويتهم الشعرية من المدارس الادبية المعاصرة او القديمة ،حسب تأثرهم بمنظورها الفكري الى أصول الابداع والاداء الفني في صياغة النص الشعري.

إنَّ النصيب الاوفر الذي استرعى هذه الظاهرة من الفلسفة الشعرية لتلك المدارس ، برز لدى المدرسة الرمزية التي ترى في استحداث الرمز طاقةً مشعةً تمدَّ التواصل التعبيري لدى المنشئ (الشاعر) وهو يجتاز حدود الواقع والعالم المادي الى فسحة عالماللاوعي او الوجود الشعري لإيصال تجربته الشعرية دون تقييد،كذلك يومض لمستقبلات الشعور لدى المتلقي بومضات إيحائية تجعله ينساق الى أجواء النص ، ليستبين هذا الرمز او الشفرةاو القناع محاولاً التوفيق بين واقع هذا الرمز التاريخي او الاجتماعي او السياسي او الاسطوري وربطه بالعلاقات المعنوية وملاحظة النمو الداخلي لتجربة المنشئ بوصفها اصلاً ، ونمو هذا الرمز بوصفها فرعاً يرفد في نهاية المطاف حيوية التجربة وصيرورتها عبر التواصل الحضاري او في فضاء التصور الشاعري لدى المتلقين، يقول الدكتور بدوي طبانة في حديثه عن ظاهرة الغموض لدى المذهب الرمزي خصوصاً عند الشعراء اللبنانيين معللاً ذلك بتأثرهم بالأدب الفرنسي (أنَّ بعض الأدباء قد ظهر في نتاجهم هذا الاتجاه الى المذهب الرمزي وقد كان اكثر دعاة هذا المذهب واشياعه في الشرق العربي من شعراء لبنان وكتابه ، ولعلَّ السبب في ذلك هو اتصالهم بالأدب الفرنسي الذي تشيع فيه تلك الرمزية)[٤]،ويقول ايضاً مشيراً الى الجمالية الفنية في هذه الظاهرة (يرى الرمزيون أنَّ جمال الفن الادبي كله يتمثل في ذلك الابهام الذي لايتعمده الادباء لانَّالاديب لايكون رمزياً باختياره وإرادته وانما هو مضطراليه اضطراراً...ثم انَّ الانفعالات

١التيارات المعاصرة في النقد الادبي.د.بدوي طبانة.ص٤٤٢ .

٢الغربال . ميخائيل نعيمة .ص١٠٦ .

٣قضايا النقد الادبي .د. بدوي طبانة .ص ١٣٣,١٣٢ .

٤التيارات المعاصرة في الادب العربي .د. بدوي طبانة .ص٤٤٢ .

التي تنشأ عن نفسية الاديب وما يتفاعل معها يؤثر منها من العالم الخارجي وهي في نظر الرمزيين انفعالات واحاسيس مبهمة.... وفي ذلك الابهام جمال وإمتاع لانَّ المعاني إذا جاءت خفية ومقنعة تترك النفس في تطلع دائم لاستكناه حقيقتها وإدراك مايرد منها وفي ذلك متعة للنفس وتنشيط للعقل وللتفكير الانساني)[١]، لعلَّ أمية حمدان يوافقرأي الدكتور بدوي طبانة بأنَّ النزعة الرمزية التي اكتسبها الشعر اللبناني جاءت تأثراً بالأدب الفرنسي الذي شهد ولادة هذه الحركة الشعرية بين ١٨٨٠ – ١٩٠٠ ، وردَّ فعلٍ تجاه المذهب البرناسي الذي اخضع الادب للحقائق العلمية الواضحة ،وصيحةً بوجه الطبيعة الجامدة الرومنطيقية[٢]،ويشير حين شروعه الى تعريف الرمزية وتحديد توجهاتها الشعرية ، أنَّ الغموض هو إحدى المميزات الفنية لهذه المدرسة(حينما نحاول أنْ ندقق عن كثب في تعريف المفهوم الرمزي ، نصطدم بصعوبات كبيرة ، إذ تظهر متناقضات شتى ، تشاؤم لافورج ، وحماسة فيلي غريفان، نزعة سامان الى السري والغامض)[٣] وفي حديثه عن فلسفة هذا المذهب في استقطاب الرمز كأداةٍ تعبيريةٍ بانهَّ(يشير الى اكثر من معنى او فكرة اوعاطفة ويصبح تعبيراً عما لايمكن التعبير عنه ، فيكشف وهو يحجب ويحجب وهو يكشف اي انه يوحي بالشيء دون أنْ يوضحه فهو غامض في جوهره)[٤].وهذه الاشارة تلفت الانتباه الى الوازع المشترك بين اقتناء الرمز في الشعر والانعطاف بالشعر صوب الغموض.

ومن المدارس الاخرى التي آثرتْ هذه الظاهرة في فلسفتها الشعرية، المدرسة(السريالية) حيث اتشحتْ كلياً برداء هذه الظاهرة وركزتْ على أبرز مكونيها(الخيال،والصورة الشعرية)في تحقيق الغاية الشعرية والمؤدى الدلالي الذي توخاه شعراؤها،بل اغرقوا في اقتنائهم للخيال وبنائهم للصورة الى حدٍّ أنْ أتى شعرهم غامضاًوفي كثير من الاحيان مبهماً معقداً لما استحال فيه الخيال الى السذاجة والإغراب في الخلق الفني للصورة الشعرية ،والابتذال في نسج الاستعارات والتشبيهات ، يقول فردينان آلكيه (وهذا ما أدى بالسرياليين الى إخفاء دلالة جديدة على اعتقادهم بقدرة الخيال على التحقيق ،وقدرة ليست على مايبدو في الصورة ، بل في التركيب الذي اخذت فيه الصورة،وهو تركيب يعطيها معناها ويبدو ثمرة رغبة ، وهم يفضلون عندها على نظرية الهلوسة والصور المنفصلة التي تفرض نفسها علينا لوحدها)[٥]،ويقول(وهكذا يجد كثير من الغموض الظاهري في السريالية شرحه ،رأيناها وقد أغراها مذهب ساد)[٦].

ويرى الدكتور محمد حسين الاعرجي أنَّ شعراء جماعة(أبولو)قد اجتذبتهم الظاهرة الفنية في الغموض لما توفره لهم من فسح المجال وعدم التقييد أمام التواصل الشعري ،يقول الاعرجي (واستقر جماعة ابولو على أنَّ وظيفة اللغة هي الايحاء،فكانت صورهم حالمة غامضة يجمع بين أجزئها البعد النفسي ،واهتمامهم بهذا البعد لابما جرى عليه المألوف من الاستعارة والتشبيه..ولكن ناقديهم لم ينتبهوا الى انَّ الموهوبين من هذه الجماعة هم مثل زميلهم علي محمود طه المهندس ،لايدرك سر جمال شعرهم(بالتحليل المنطقي)وانما يحس إذا استطعنا أنْ نسموالى الجو الذي يخلقه ويحلق فيه... وهو لايرصفألفاظاً ، وانما يجيد استخدام المعجم الشعري الذي يخلق الجو لنحلق فيه)[٧]

الغموض في الشعر الحديث

قـــراءة دلاليـــــة

نحاول في هذا المضمار من البحث اكتشاف الظاهرة الفنية في الغموض والبواعث الدلالية التي حدت بالشاعرالى أنْ يلجأ لمثل هذه الظاهرة ،يقول حبيب صادق في أحدى مقطوعاته الشعرية من ديوان(في زمن القهر والغضب)[٨] : -

أعودُ للمرآةِ في المساءْ
أدخلُها

١قضايا النقد الادبي .د.بدوي طبانة .ص ١٢٩ .

٢الرمزية والرومنتيكية في الشعر اللبناني. أمية حمدان.ص ٢٣ .

٣المصدر السابق .ص٢٣ .

٤المصدر السابق.ص٢٦ .

٥فلسفة السريالية . فردينان آلكيه .ص١٨٦ .

٦المصدر السابق . ص٢٠٣ .

٧الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي.د.محمد حسين الاعرجي.ص١٩٦.وانظر قضايا جديدة في ادبنا المعاصر.محمد مندور.ص١٠٣ .

٨في زمن القهر والغضب. حبيب صادق .ص١١٤,١١٥ .

أغوصُ في أحشائهـــا
أدورْ
في الغرفِ الموصدةِ ألابوابْ
أسقط في حجراتها السوداءْ
أحملُ عيني شمعةً
وعاءْ
أحرقُ فيهِ النَّدَّ والبخورْ
مطوفاً
أبحثُ في الوجوه
عن وجهيَ المهاجر القديمْ
أسألُ
لاجوابْ
إلاَّ صدى الأروقة اليتيمْ

نلحظ بشكل جلي اللون الجمالي لظاهرة الغموض في هذه القصيدة إذ تفنن الشاعر في تجسيد تجربته الشعرية بصورة تبتعد عن المباشرة والتقريرية التي قد لاترتقي بالنص او بالتجربة الشعرية الى القيمة الايحائية المتسامية التي تعكس أثر تلك التجربة في ذات الشاعر او إكسائها بصفة التعايش الشعوري مع النص حسب ثنائية الاستجابة والتلقي، حيث أنَّ القيمة الايحائية للنص تسوغ أنْ يكون النص في ذات المتلقي بإرهاصاته مثيلاً لموقعه في ذات الشاعر، فيتعايش النص لدى المتلقي في التجربة المماثلة كأنه جزءُ منه او قريب من نشأته.ولكي لانبتعد كثيراً عن النص، نلمس كيف ركز الشاعر على عنصر(الخيال) الهادف الذي حدا به الى التحليق في عالمٍ لاتملكه سلطة الواقع ولايكترث بها،فهو بتصويره الخيالي يرى في(المرآة)وجوداً لكائن حيّ خبير بأحواله يشعر شعوره ويكتنز ذكرياته، يجعله يرتمي بين احضانه حتى الغموض، فيحس حرارته وحيويته، وكأنهّ يتصور في هذا الغموض بما يوحيه لفظ(الغوص)من عمق وسبر أغواره لغةً خاصةً بينه وبين هذا الكائن الذي يحدثه بحقيقته الزائفة التي يتصف بها في واقعه الحَياتي المألوفِ، ويريه صورته الحقيقية كلما اطلَّ بوجهه، ويذكره بالذكريات المكتنزة لديه كلما عكس له صورته واراه تقاطيع التجارب العديدة التي بصمها الواقع المرير على وجهه. وسرعان مايصدمه هذا الكائن بحقيقته تراه ينفرُّ منه حتى يضيق به فضاء الغرف المؤصدة ليبحث عن وجهه القديم،وهذه صورة خيالية ثانية يتخيل فيها سقوط الوجوه او تقنعها او هجرتها ورحيلها على حدِّ قوله(عن وجهي المهاجر القديم)،ويتبعها بصورة خيالية ثالثة تعبر عن ضياعه في هذا الكون وغربته الداخلية واعتكافه على نفسه ليسمع(صدى الاروقة اليتيم)هذا الصدى اليتيم الذي لا أم له ولا أب ألاَّ هو ، يسمعه بين الفينة والاخرى صوت الاغتراب والاعتزال والوحدة الموحشة.

لقد برع الشاعر في بناء تخييله بتعضيده بالصورة الشعرية العميقةفعمد الى المجاز لخلقها مرةً ،ذلك في قوله (اغوص في احشائها)حيث أسبغ عليها (المرآة) –كما ذكرنا آنفاً – صفات الكائن الحي،كذلك قوله(إلا صدى الاروقة اليتيم) إذ أضفى على الصدى صفة (اليتيم) وهي لاتصح في الحقيقة إلا لكائن حي مثل الانسان،ومرةً يعمد الى خلق الصورة الشعرية عن طريق الاستعارة التي يكتنفها شيء من الغرابة وذلك في قوله(ادخلها)كأنه يصنع للمرآة باباً كباب الدار، وقوله(احمل عيني) وكأنها شيء محمول،او في قوله(أحرقُ فيه النَّدَّ والبخور)مشبهاً الجفون الدامعة كموقد النار فاستعار لها صفة(الاحتراق)،او كقوله(عن وجهي المهاجر القديم)حيث استعار لوجهه صفة السفر مشبهاً إياه بالمسافر.

كذلك عمد الى التعقيد في خلق تشبيهه،ذلك في قوله (حمل عيني شمعةً ، وعاء)إذ انَّ المفترض في هذا التشبيه أنْ يقول(احمل عيني الباكية الذارية بالدمع كوعاء الشمع)لكنه شبه العين بالشمعة ثم شبه تشبيه العين بالشمعة كأنها وعاء الشمع، ثم شبه هذا التشبيه نفسه اي(الوعاء)بالطواف الذي تحرقُ فيه الأبخرة وتحمل في الأوعية تبركاً وتقديساً.

ولايفوتنا ذكر خصيصة أخرى حفل بها هذا النص وأشاعتْ فيه صفة الغموض،بوصفها رمزاً موحياً، صفة(اللون) وذلك في قوله(المساء،السوداء)هاتان اللفظتان تحملان دلالةً لونيةً ورمزيةً واحدةً توحي

بالغموض والبهمة،فلفظ(المساء)له فاعلية دلالية تشير الى سكون الاشياء وبهمتها وتفرد الشاعر،(الغرف السوداء) تلتقي بالسوداوية التي تكتنف نفسه من ضيقه من المجتمع وواقعه،إذ كيف يشعر والظلامية في نفسه تلتقي مع السواد في المساء المظلم.هذه الخصائص الاسلوبية والبلاغية، قداستندإليها الشاعرفي تجسيد تجربته وتفريغ شحناتها الشعورية المكتظة في دواخله في القالب الشعري بأسلوب يلف المتلقي بحبائل الغموض الموحية بعمق التجربة الشعرية. الشاعر هنا يعاني من الاغتراب النفسي ويضجر من سلطة الواقع عليه ويبحر في التساؤلات عن الحقائق التي آلت به الى هذا المطاف، أهو غريب بتصرفاته المغايرة للآخرين، ام هي صحوة الضمير التي دوت بصوتها في ذاته بعدما انساق وراء الشكليات الزائفة في الواقع المادي للحياة،لذا فإنَّ الشاعر لم يسلك مسلك المباشرة والتقريرية في ايجاد جواب لتساؤلاته بل ضمن تعبيره الشعري هذه الظاهرة الجمالية، فعكست جمال الاسلوب الشعري وأوحت الى المتلقي، بل سحرته بتلك الجمالية لتحدوه بالإمعان والانصهار في النص لمعايشة التجربة الشعرية.

وإذا انتقلنا الى شاعر آخر كإيليا ابو ماضي في قصيدته التي بعنوان(قطرة طل)[١]: -

إنْ ترَ زهرةَ وردٍ فوقها للطَلِّ قطره
فتأمّلها كلغزٍ غامضٍ نجهلُ ســـــــــره
ولتكنْ عيكَ كفاً وليكنْ لمسك نظـــــــره
ليست الحمراءُ جمرة ، لاولا البيضــاءُ دره
ربّ روحٍ مثل روحي عافت الدنيا المضرّه
فارتقتْ في الجو تبغي منزلاً فوقَ المــجره
علّها تحيا قليلاً في الفضاء الحرِّ حـــــرّه
ذرفتها مقلةُ الظلماءِ عندَ الغجر قطـــــره

يوحي عنوان القصيدة لأول وهلةٍ أنهَّا نظمت في وصف الطبيعة،لكن سرعان مايتبادر الى ذهنه التحير والانشداه في استكناه المغزى الدلالي العام للنص او فحوى التجربة الشعرية فيه. وبدءً نلحظ انَّ الشاعر قد بصم ثنايا نصه برمزين كانا المحرك الموضوعي الاســـــــــاس،هما لفظا(الزهرة)و(الروح) فجاء التعبير الشعري في المقطع الاول على أساس الصورة الشعرية التي رسم بها زهرته وهي مبتلة بقطرة الندى، هذه الصورة الجميلة التي يطالب المتلقي او من يتحدث اليه أنْ ينظرها بشكل ممعن عميق التأمل، سرعان ما يفاجئه بانَّ الصورة التي رسمها له ليست كما صورها قبل قليل، ويبرر انشداه المتلقي لهذا الامر بانه(الشاعر) والمتلقي يجهلان الامر،بل يقلب له فلسفة الاشياء والمحسوسات بتشبيهه(العين بالكف) و(الكف بالعين) ثم يعطيه اجابةً كأنها عين اليقين بانَّ صفة اللون الاحمر حتى ولو كانت ورداًليست جمرةً ،ولاصفة اللون الابيض وإن كانت ورداً او قطرة ندىً، ليس نرمز للدر وجمال الاشياء إذن ماسرَّ هذا الانزياح في التشبيه لدى الشاعر في المحسوسات(العين، اليد) كيف تكون العين يداً، واليدُ عيناً، ثم ماهذه التشبيهات القائمة على نقض الحقائق المسلم بها في جوهر المحسوسات(الاحمر لايرمز للنار) ،(الابيض لايرمز للدر).

إذن الغموض الذي تلكف هذا المقطع من القصيدة إنما احتوى في طياته نظراً فكرياً وتأملاً فلسفياً، فرمز(الزهرة) يرمز للحياة بمنظورها المادي وبما فيه من جمال وطاقة وحيوية، فهو يرى أنها قائمة على اشياء واهمة، وهي لاتحمل للإنسان على الرغم من كونها جميلة بالمنظر الحسن والطعم الحلو الذي يبديه ظاهرها، إلا الحزن والمرار،ولو ترك الانسان النظر إليها شكلياً وهو النظر الذي عناه بالعين، ونظرها(بكفه) اي على حقيقتها لمس تنصلها من الانسان، وزيف تصوراته تجاهها،فالأحمر فيها ليس دائماً هو النار ولا الابيض هو الدر،اي انَّ الاشياء فيها ليس لها منطق ثابت بل نسبي يتغير حسب الظروف الزمانية والمكانية.

وفي المقطع الثاني من القصيدة ينتقل لبيان مشاعره وانفعالاته تجاه الرمز الثاني فيها ، وهو لفظ(الروح) إذ يرمز للأمل في تصوراته فهو معقود بنزول قطرة الندى، فتراه يعمد الى تشبيهها بروحه المثقلة بالهموم والاحزان والتي انسلخت عن الحياة بفعل ضجرة منها، فالتفت بقطرة الندى فوق المجرة، ويصطحب الشاعر خياله في تصور حريتها وهي تحيا في الفضاء مع قطرات الندى ليرجع من جديد فيعطينا صورةً يختم بها هذه

[١] الجداول،ايليا ابو ماضي،ص٥٨.

القصيدة بتعبير استعاري،إذ استعار للظماء مقلةً تدمى وعيناً تذرفُ،دلالةً على انَّ التفاؤل بالأمل قد يأتي وإنْ تطاولت الهموم واشتد وقعها.

ومن الجديرذكره أنَّ اللون قد لعب دوراً هاماً في بناء القصيدة، حيث ذكر الشاعر في المطلع الاول اللون الاحمر في (الورد، النار) كذلك اللون الابيض في(الدر، الورد) كذلك الاسود في (الظلام) والابيض في(الفجر)، ولمسنا كيف تباينت الدلالة المعنوية لهذه الرموز بين اللون الاحمر الذي يشير دائماً الى النار او الشر، والابيض الذي يشير الى السلام والخير، كذلك الاسود الذي يشير الى الظلام والتشاؤم والموت والابيض الذي يشير الى الحياة والنور والامل .

إذن هذا التفنن الاسلوبي والبلاغي في هذا التصوير الشعري الغامض لاسيمَّا اعتماده المحسوسات اساساً للتشبيه –كما لحظنا ذلك آنفاً – شحن القصيدة بقدرة إيحائية عكست فلسفة الشاعر للواقع الوجودي للكون والحياة وسر عدم ثباتها،كما جسدايضاً حقيقة الانسان وانخداعه بظواهرها الشكلية كدلالة على ظلم المجتمع وانحلال العلاقات الاجتماعية والتسلط السياسي. كما استثمر هذه الظاهرة في مجال اخر من القصيدة في بيان تفاؤله المقرون بانبثاق الامل من بين ثنايا اليأس وسطوة الظلم كالندى الذي يسقط من احضان الظلماء مع بزوغ الفجر ليروي النباتات المتعطشة .

المصادر والمراجع

١. الأسس الجمالية في النقد العربي.د.عزا لدين إسماعيل.ط دار الشؤون الثقافية – بغداد١٩٨٦
٢. البيان والتبين – للجاحظ ابي عثمان عمرو بن بحر.تحقيق عبد السلام محمد هارون – القاهرة١٩٤٨ .
٣. التيارات المعاصرة في النقد الادبي – د. بدوي طبانة. دار الثقافة – بيروت – لبنان١٩٨٥ .
٤. الجداول – ديوان شعر – ايليا ابو ماضي – بقلم ميخائيل نعيمة .
٥. حياتي في الشعر – صلاح عبد الصبور – دار العودة – بيروت١٩٦٠.
٦. الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني – أمية حمدان – منشورات وزارة الثقافة والاعلام – دار الرشيد – بغداد١٩٨١.
٧. سرَّ الفصاحة،لابن سنان الخفاجي ت٤٦٦.دار الكتب العلمية – ط١ – بيروت١٩٨٢.
٨. الشعر العربي المعاصر – د.عزالدين اسماعيل – ط٢ – دار العودة – دار الثقافة – بيروت١٩٧٣.
٩. الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي .د.محمد حسين الاعرجي – المركز العربي للثقافة والعلوم – بيروت.
١٠.العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – لابن رشيق القيرواني ت٤٥٦.تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط٤ بيروت.١٩٧٢
١١.الغربال – ميخائيل نعيمة – ط١ المطبعة المصرية مصر.١٩٢٣
١٢.في حداثة النص الشعري.د.علي جعفر العلاق.دار الشؤون الثقافية العامة ط١ بغداد.١٩٩٠
١٣.في زمن القهر والغضب –(ديوان شعري) حبيب صادق دار العودة – بيروت -.١٩٧٣
١٤.فلسفة السريالية.فردينان آليكه – ترجمة وجيه العمر – منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق.١٩٧٨
١٥.قضايا النقد الادبي – د.بدوي طبانة – ط١ – دار المريخ للنشر الرياض.١٩٨٤
١٦.قضايا جديدة في ادبنا الحديث.د.محمد مندور دار الادب – بيروت – .١٩٦٥
١٧.القاموس المحيط.لمجد الدين فيروز آبادي – عالم الكتب.بيروت.
١٨.لسان العرب.لابن منظور لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت٧١١،ط١.دار صادر .بيروت.
١٩.لغة الشعر العربي الحديث.د. السعيد الورقي – ط٣ – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان.١٩٨٤
٢٠.مختار الصحاح. لمحمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ت٦٦١.ط١. الكتاب العربي.بيروت.لبنان..١٩٦٧
٢١.معالم جديدة في ادبنا المعاصر. فاضل ثامر. منشورات وزارة الثقافة والاعلام. بغداد..١٩٧٥

٢٢.من الذي سرق النار.د.إحسان عباس، جمعها وقدم لها د.وداد القاضي،ط١ -.١٩٨٠
٢٣.الموازنة.للامدي ابي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى ت٣٧٠هـ - تحقيق د.محمد محي الدين عبد الحميد.١٩٤٤
٢٤مجلة الجامعة – العدد الرابع – سنة١٩٧٧.